

# الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات علماء المالكية

أ. سمير القدوري\*

## التعريف بالبحث :

يتطرق البحث إلى عرض مسألة مهمة في الفكر الأندلسي والمغربي ، وهي النزاع الفكري بين ابن حزم ومخالفيه من علماء المذهب المالكي بالأندلس والمغرب ، وقد تم الحديث عن مجادلات ابن حزم الشفهية مع معاصريه ، وما دار حول آرائه من مناظرات ومراسلات للفقهاء بشأنه .

وتتبعنا كذلك المؤلفات التي وضعها علماء المذهب المالكي بالأندلس والمغرب في الرد على ابن حزم الظاهري ، وبيان ما في أقواله وآرائه الفقهية والعقدية وغيرها من الخروج عن المعهود ، وكذلك ما في أقواله في الحديث من مجازفة في التجهيل والجرح والتعديل ... الخ .

وقد تتبع البحث تلك الردود حسب مراحل تاريخية كبرى ، وخرج بملخص عن سبب انتكاس المذهب الظاهري بالمغرب بعد أن نال بعض الحماية من الدولة الموحدية .

\* باحث في التراث الإسلامي . ولد في مدينة بني ملال بالمغرب سنة (١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م) ، حاصل على شهادة التخرج في المعهد العالي للتكنولوجيا التطبيقية سنة (١٩٩٥م) ، وشهادة معهد التكوين التقني / تخصص « الهندسة الحضرية » سنة (١٩٩٧م) ، له عدة بحوث منشورة ؛ منها « الأرصاد الفلكية عند المسلمين » ، و « النقد التاريخي والعقلي للكتاب المقدس عند ابن حزم الأندلسي » .

## تمهيد

الغرض من هذه الدراسة رصد المنازعات الفكرية بين ابن حزم الأندلسي ومخالفيه من علماء المالكية ، في حياته وبعد مماته ، وتحرير محل النزاع بين الطرفين ؛ لأن ردود علماء المالكية على ابن حزم في بلاد الأندلس والمغرب قد تعددت وتنوعت ، ولم تدرس مع ذلك دراسة شاملة تساعد على فهم إشكالية الخلاف بين ابن حزم ومخالفيه .

وقد كنت اشتغلت منذ فترة بتقصي أخبار تلك الردود ، واستطعت بحمد الله الوقوف على معلومات أقدّر أنها ستفيد في هذا الباب .

وقبل الدخول في تفاصيل الموضوع لا بد من تحديد الإطار التاريخي والسياسي لحياة ابن حزم لفهم العصر الذي عاش فيه ، ثم نعطي لمحة عن حياته لإدراك الملابسات التي حفت به وأثرت على مساره العلمي ، وكيف انعكس ذلك على مساجلاته ومناظراته التي تنوعت وكثرت .

وقبل هذا نقدم لمحة مقتضبة عن الساحة الفكرية الأندلسية حتى يتسنى لنا وضع ( الفكر الظاهري بالأندلس ) في سياقه المناسب .

ثم بعد هذا نستعرض ردود علماء الأندلس والمغرب على ابن حزم حسب مراحل تاريخية كبرى هي :

أ- مرحلة ملوك الطوائف .

ب- مرحلة تدخل المرابطين في الأندلس وضمها إلى المغرب .

ج- مرحلة دولة الموحدين .

د- مرحلة ما بعد انقراض دولة الموحدين .

وبعد ذلك نستخلص خلاصة عامة .

وسنحرص على تصنيف تلك الكتب حسب طريقتها في الرد وغرضها منه . هذا إذا وجدنا إلى ذلك سبيلاً ؛ لأن أغلب تلك الردود لازال مفقوداً ، وما وصلنا منها قليل ، ولا يسمح بالمجازفة والقول : بأن الردود المفقودة سارت على نفس النمط في المعارضة والاعتراض .

### أولاً : الإطار التاريخي والسياسي لحياة ابن حزم :

عاش أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ما بين سنتي ( ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ ) ، وهذا يعني أنه عاصر أحداثاً سياسية كان لها الأثر البالغ على مستقبل الأندلس من جهة ، وعلى نفسه هو من جهة ثانية ، فابن حزم - إن صح التعبير - من علماء الأندلس المخضرمين ؛ لأنه عاش فترتين مختلفتين من تاريخ بلاده :

أ- فترة ما قبل الفتنة البربرية ( ٣٨٤-٣٩٩ هـ ) .

ب- فترة ما بعد الفتنة ( ٣٩٩-٤٥٦ هـ ) .

فأما الفترة الأولى : فإن مقاليد الحكم فيها بالأندلس كانت بيد هشام بن الحكم<sup>(١)</sup> الذي ولي الخلافة الأموية من (٣٦٦ هـ) إلى (٣٩٩ هـ) وكان قد مات أبوه وخلفه في العاشرة من عمره ، فقامت على رعايته أمه « صبح » ، التي نجح الحاجب محمد بن أبي عامر في استمالتها إليه ، فاستطاع تسنم ذروة الحكم الحقيقي هو وأسرته من بعده فترة زادت على ثلاثة عقود ، فطغى نفوذ العامرية على الخلافة الأموية ، وإن كان الحكم باسمها في الظاهر<sup>(٢)</sup> . لكن ابن أبي عامر أعطى للأندلس هبة بقيامه بخمسين غزوة خلال (٢٥) عاماً من ملكه ، لم يهزم فيها قط . وبوفاة ابن أبي عامر ( الذي تلقب بالمنصور ) سنة (٣٩٢ هـ) ، ثم وفاة ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر سنة (٣٩٩ هـ)<sup>(٣)</sup> ، تغير حال الدولة بعد أن عرفت في عهديهما استقراراً سياسياً ، خاصة قرطبة موطن ابن حزم ومسقط رأسه .

وأما الفترة الثانية : فقد عاشت قرطبة فيها اضطرابات متوالية ، إذ قلب الأمر فيها على عشرة حكام تولى أربعة منهم الحكم مرتين ، وبعض أولئك الحكام كانوا من الأمويين ، وهم :

١- محمد الثاني بن هشام .

٢- سليمان بن الحكم .

(١) راجع البيان المغرب ، لابن عذاري المراكشي (٣٥٣/٢-٣٥٤) .

(٢) نفس المصدر (٣٧٢/٢-٣٧٣) .

(٣) نفس المصدر (٣/٣-٢١) .

- ٣- هشام الثاني .
  - ٤- عبد الرحمن الرابع .
  - ٥- عبد الرحمن الخامس بن هشام .
  - ٦- محمد الثالث بن عبد الرحمن .
  - ٧- هشام الثالث بن عبد الرحمن <sup>(١)</sup> .
- وبعضهم الآخر من بني حمود الحسينيين الذين استولوا على السلطة بقرطبة سنة (٤٠٦ هـ) ، وهم :

- ١- علي الناصر بن حمود .
  - ٢- القاسم بن حمود .
  - ٣- يحيى بن علي بن حمود <sup>(٢)</sup> .
- ويصف ابن حزم الفتنة بقوله : « ... فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله ... » <sup>(٣)</sup> .

قال الدكتور عبد الحليم عويس : « ... وقد انفكت عروة الدين من النفوس ، بعد أن تفككت مشروعية الحكم ، فأصبح الأمر صراعاً جنسياً بين عرب وبربر وصقالبة ، واستعان بعضهم بالنصارى على بعض » <sup>(٤)</sup> .

قال ابن بسام ( نقلاً عن ابن حيان القرطبي المؤرخ ) : « كانت ( سنوات : ٤٠٠-٤٠٧ هـ ) شِدَاداً نكدات صعباً مشثومات ، كريهات المبدأ والفاثحة ، قبيحة المنتهى والخاتمة ، لم يعد فيها حيف ، ولا فُورق فيها خوف ، ولا تم سرور ، ولا فُقد محذور ، مع تغير السيرة ، وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة ، واعتلاء المعصية ، وظعن الأمن ، وحلول المخافة » <sup>(٥)</sup> .

(١) راجع عنهم رسائل ابن حزم (٢/١٩٩-٢٠٨) .

(٢) نفس المصدر (٢/١٩٩-٢٠١) .

(٣) رسالة الرد على ابن التفريلة ص ٤٥ .

(٤) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص ٢٣ .

(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : القسم الأول (١/٢٥) ، وكذلك المرجع السابق ص ٢٢ .

ويحدد عبد الحليم عويس ممالك الطوائف بالأندلس بعد (٣٩٩ هـ) فيقول: « ومن هذه الممالك :

١- موالى العامرية بشرق الأندلس ، ويندرج تحتها : حُكم خيران العامري<sup>(١)</sup> للمرية ومرسية ، وحكم مُجاهد العامري<sup>(٢)</sup> وابنه علي لدانية وميورقة ومنورقة ويابسة ( الجزائر الشرقية ) [ ٤٠٠-٤٦٨ هـ ] إلى أن ضمها بنو هود حكام سرقسطة إلى ملكهم .  
٢- بنو زيري ( البربر )<sup>(٣)</sup> حكموا غرناطة ثم توسع ملكهم فضم : قبرة وجيان ومالقة .

٣- بنو الأفطس أصحاب بطليوس وأعمالها .

٤- بنو ذي النون أصحاب طليطلة وأعمالها .

٥- بنو رزين أصحاب السهلة ( غرب قرطبة ) .

٦- بنو عباد أصحاب أشبيلية [ ٤١٤-٤٨٤ هـ ] الذين توسعوا حتى صاروا أكبر

دول الطوائف مُلكاً .

٧- بنو هود أصحاب سرقسطة .

٨- بنو القاسم الفهريون ، في حصن البونت ( شمال بلنسية ) .

٩- بنو حمود الحسينيون بالجزيرة الخضراء .

١٠- بنو جهور ( موالى الأموية ) في قرطبة<sup>(٤)</sup> .

وكانت سنة (٤٢٢ هـ) تاريخها لسقوط الخلافة الأموية نهائياً ، بعد خلع القرطبيين

لهشام المعتد بالله<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع أعمال الأعلام ص ٢٤٢ ، والمغرب لابن سعيد (١٩٣/٢) .

(٢) سترجم له لاحقاً في الموضوع المناسب ، وكذلك سنعمل مع ابنه علي الملقب بإقبال الدولة .

(٣) يراجع في تاريخهم كتاب التبيان لعبد الله بن بلقين ( آخر ملوك غرناطة من بني زيري ) .

(٤) المرجع السابق ص ٢٥ ، وكذلك عدة مواطن من البيان المغرب لابن عذاري ، الجزء الثالث .

(٥) استفدت في تحرير هذا الفصل من كتاب « المنهج الحديثي عند الإمام ابن حزم الأندلسي » ، للدكتور طه

علي بوسريح ص ١٩-٢١ ، لأنه لخص فيه جل ما يحتاج إليه في هذا الباب .

ثانياً : لمحة عن الساحة الفكرية بالأندلس إلى حدود القرن الخامس

الهجري :

وأحسن من لخصها - وإن كان عنيفاً بعض الشيء في نقد مخالفه - القاضي أبو بكر

ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم .

قال ابن العربي : « نفذ إلى هذه البلاد ( الأندلس ) بعض الأموية فألقى ها هنا عصبية فثاروا به ، وأظهر الحق ، وقال أحمي السنة ، فلا فقه إلا فقه أهل المدينة ، ولا قراءة إلا قراءتهم . فألزم الناس العمل بمذهب مالك ، والقراءة على رواية نافع ، ولم يُمكنهم من النظر والتخيار في مقتضى الأدلة ، متى خرج ذلك عن رأي أهل المدينة ، وذلك لما رأوه ( أي الأموية ) من تعظيم مالك لسلفهم ... فصار التقليد دينهم ، والاعتداء يقينهم ، فكلما جاء أحد من المشرق بعلم دفعوا في صدره ، وحقروا من أمره ، إلا أن يستتر عندهم بالمالكية ، ويجعل ما عنده من علوم على رسم التبعية . منهم بقي بن مخلد رحل ... وجاء بعلم عظيم ودين قويم ، ولم يكن له أن يرتبط بمذهب أحد ... وجاء ابن وضاح بمثله . فأما بقي [ بن مخلد ] فكان مهجوراً حتى مات [ سنة ( ٢٧٦ هـ ) ] . وأما ابن وضاح فلقى سحنون ، وتشرف بأصحاب مالك وتلمذ ليحيى بن يحيى ، وأعان المطالب لبقي بشهادة ، فكانه رقي المنازل وطار في الدولة بجناح ، وبقيت الحال هكذا ، فماتت العلوم إلا عند آحاد [ ممن ] حُبِّي بشيء من الحديث ، واستمرت القرون على موت العلم ، فكل من تخصص لم يقدر على أكثر من أن يتعلق ببدعة الظاهر ... ثم حدثت حوادث لم يلقوها في منصوص المالكية ، فنظروا فيها بغير علم ... حتى آلت الحال ألا يُنظر إلى قول مالك وكبراء أصحابه ... ويقال : قال فلان الطليطلي ، وفلان المجرطي ، وابن مغيث ... ولولا أن طائفة نفرت إلى دار العلم وجاءت بلباب منه ، كالأصيلي [ عبد الله بن إبراهيم ( ت : ٣٩٢ هـ ) ] ، والباجي [ أبو الوليد سليمان بن خلف ( ت : ٤٧٤ هـ ) ] ، فرشّت من ماء العلم على هذه القلوب الميتة ... لكان الدين قد ذهب ... هذا مع أنه قد رحل قوم من الضلال ، كمسلمة ابن قاسم ، ومحمد بن مسرة ، فجاءوا بكل مَضْرَّةٍ ومَعْرَّةٍ ، ورحل [ منذر بن سعيد ] البلوطي [ ت : ٣٥٥ هـ ] ولقي الجُبَّائي [ شيخ المعتزلة ] ، فجاء ببدعة القدرية في الاعتقاد ، ونَحَلَّةِ الداودية في الأعمال ... فإن حلت بمسلم نازلة في اعتقاده ألقى قاصمة الظهر من

عقائد البلوطي ، ومسلمة ، وابن مسرة ... أو يصادف في دينه العملي داودياً ، فإذا بدينه قد تدوّد ، ونظام شرعه قد تبدد » <sup>(١)</sup> .

ويقول ابن حزم : « وأما علم الكلام فإن بلادنا ، وإن لم تتجاذب فيها الخصوم ، ولا اختلف فيها النحل ، فقلّ لذلك تصرفهم في هذا الباب ، فهي على كل حال غير غريبة عنه ، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال نظراً على أصوله ، ولهم فيه تأليف ؛ منهم : خليل ابن إسحاق ، ويحيى بن السمينة [ ت : ٣١٥ هـ ] ، والحاجب موسى بن حدير ، وأخوة الوزير صاحب المظالم أحمد [ بن محمد بن حدير ] ، وكان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك » <sup>(٢)</sup> ، ثم قال مفتخراً بعلماء الظاهرية بالأندلس : « وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال <sup>(٣)</sup> [ ت : ٢٧٢ هـ ] ومنذر بن سعيد <sup>(٤)</sup> لم تُجار بهما إلا أبا الحسن بن المغلس والخلال والديباجي ورؤيم بن أحمد . وقد شركهم عبد الله [ بن قاسم بن هلال ] في أبي سليمان [ داود بن علي الأصفهاني ] ومحبه » <sup>(٥)</sup> .

وقال ابن حزم أيضاً : « ... وأما الأشعرية فكانوا ببغداد والبصرة ، ثم قامت لهم سوق بصقلية والقيروان والأندلس ، وقد رق أمرهم والحمد لله .. » <sup>(٦)</sup> .

(١) العواصم من القواصم ص ٣٦٥-٣٦٨ ، وما بين المعقوفات زيادة من عندي للتوضيح .

(٢) رسائل ابن حزم ص ١٨٦ .

(٣) راجع تاريخ الفكر الأندلسي لبليثيا ص ٤٣٩ .

(٤) راجع ترجمته في : المرقبة العليا للنباهي المالقي ص ٦٦-٧٥ ، حيث قال عنه : « وغلب عليه التفقه

بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصفهاني المعروف بالظاهري . فكان يؤثر مذهبه ، ويجمع كتبه ،

ويحتج لمقاتله ، ويأخذ بها لنفسه ، فإذا جلس مجلس الحكومة قضى بمذهب مالك بن أنس وأصحابه

الذي عليه العمل في بلده ، ولم يعدل عنه ... وكانت ولايته القضاء (١٦) سنة ٧٤ .

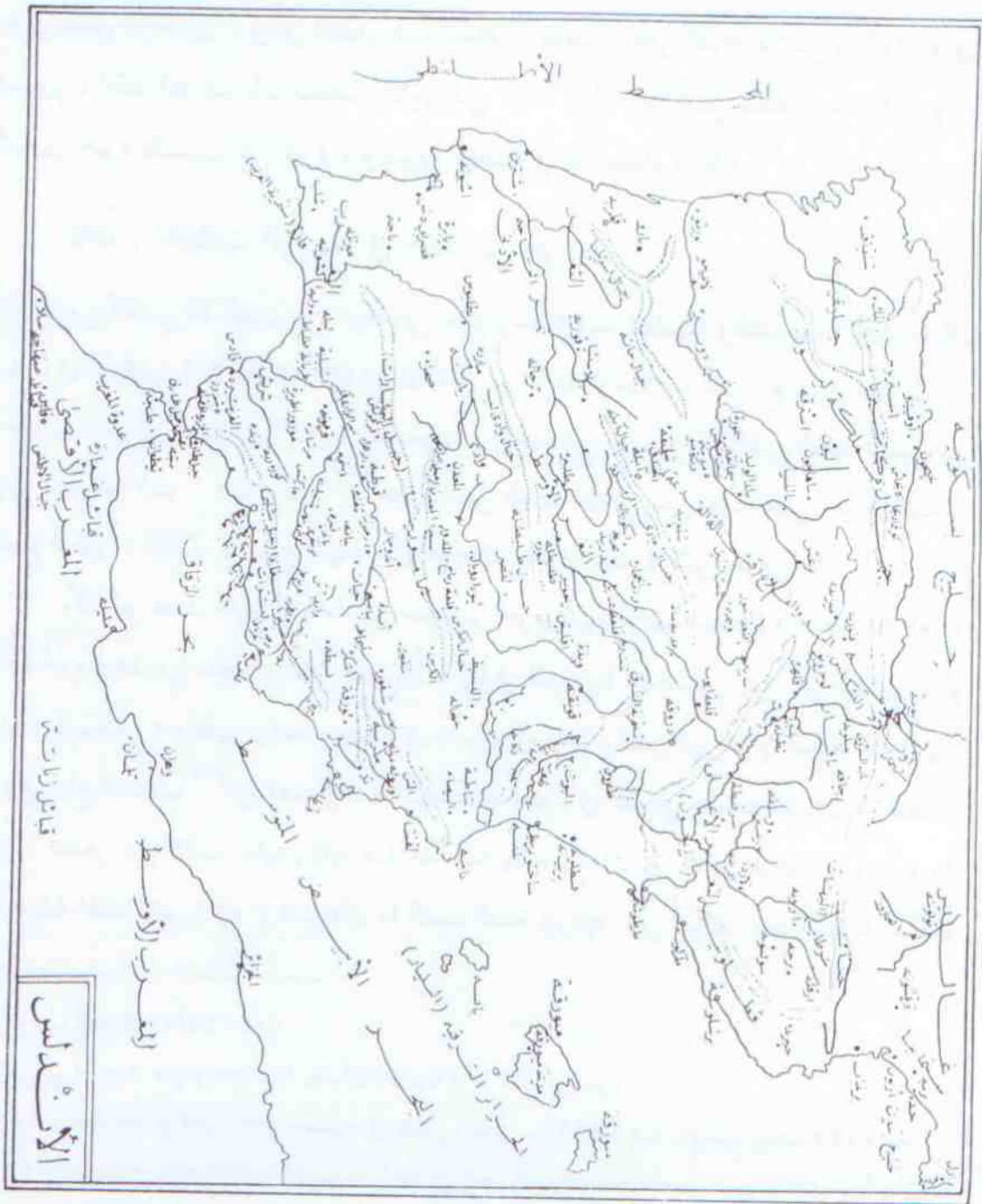
(٥) نفس المصدر ص ١٨٧ ، وما بين المعقوفات زيادة للتوضيح .

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٣/٥) ، ولمن أراد أخذ لمحة عن الفكر الأندلسي فعليه - مثلاً -

بكتاب « تاريخ الفكر الأندلسي » لأنجيل بليثيا ، ومقال جيد للأستاذة الأسبانية ماريا إزابيل فيرّه « Maria

Isabel Fierro » حول الإسلام الأندلسي في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي ، وكلام

آسبن بلاسيوس بشأن مدرسة ابن مسرة ... الخ .



هذه الخريطة لا غنى لقارئ المقال عنها

خصوصاً في الشق الأول عند الحديث عن تنقلات ابن حزم بالأندلس

وفيدنا القاضي عياض بأن ظهور مذاهب فقهية في الأندلس تُنافسُ مذهب مالك لم يكن ممكناً ، وأنه دخل الأندلس شيء من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وداود



بفضل بعض الرحالين ، وظل انتشار هذه المذاهب مقصوراً على أفراد قلائل تَدَبُّنوا به في أنفسهم ، لكنه اعترف بأن مذهب الأوزاعي كان بالأندلس قبل مذهب مالك ، وأن الأمويين حموه بالسيف عن غيره ، وصيروا القضاء في يد علماء مالكية<sup>(١)</sup> .

### ثالثاً : المحطات الرئيسة في حياة ابن حزم :

من أحسن ما كتب عن حياة ابن حزم وخصائصه العلمية والنفسية ، نجد مقال المستشرق أرُنالدِيز ( R. ARNALDEZ ) في موسوعة الإسلام . لكن مع ذلك فقد بيَّنتُ في مقال سابق أن الغموض اكتنف شقاً مهماً من حياة ابن حزم ، وقد أغنى الفقيه عيسى بن سهل الجياني ( ت : ٤٨٦ هـ )<sup>(٢)</sup> معارفنا عن الشطر الثاني من حياة ابن حزم بشكل منقطع النظير ، لذلك سأدرج شهادته في هذه الترجمة المختصرة لابن حزم .

وُلِدَ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بمدينة قرطبة سنة ( ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م ) ، وكان أبوه أحمد بن سعيد رجلاً حصيماً ، تولى الوزارة للمنصور بن أبي عامر ، ثم لولده « المظفر » وأظهر براعة وحنكة في تدبير الأمور ، وقضى ابن حزم سنواته الأولى إلى أن بلغ مبلغ الشباب<sup>(٣)</sup> في قصر والده تحت عناية الجوارى اللواتي علمنه القرآن والخط ، ورويه الشعر ، وكانت عليه رقابة صارمة كما يصف ذلك في كتابه طوق الحمامة ، ولم تدم عيشة الهناء لابن حزم ، فسرعان ما ألقت الفتنة بجرائها على أسرته بعد سقوط حكم

(١) ترتيب المدارك ( ٢٦/١ - ٢٧ ) .

(٢) سيأتي الحديث عن ترجمته فيما بعد أثناء ذكرنا لرده على ابن حزم .

(٣) أول تجاربه خارج قصر والده حضوره في مجلس المظفر سنة ( ٣٩٦ هـ ) ، وسنه يومئذ ( ١٢ ) عاماً ، وأول شيخ درس عليه الفقه والحديث هو أحمد بن محمد المعروف بابن الجسور ، روى عنه موطأ مالك ، ومدونة سحنون ، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة ، وفقه أبي عبيد بن سلام . قال ابن حزم : « وهو أول شيخ سمعت منه قبل الأربعمئة » ، وأخذ صحيح البخاري سنة ( ٤٠١ هـ ) بأحد مساجد قرطبة عن أبي القاسم عبد الرحمن بن خالد الهمداني المعروف بابن الخراز . راجع طوق الحمامة ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، ٢٩٩ . ودرس الحديث والجدل وعلم الكلام على أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد الأزدي المصري بقرطبة فيما بين ( ٣٩٤ - ٤٠٠ هـ ) ، وهي الفترة التي كان الأزدي وافداً فيها على الأندلس . طوق الحمامة ص ١٩٦ ، ٢٦٠ .

العَامِرِيَّة وظهور بَدِيل للخليفة هشام الثاني ، وهو محمد المهدي الذي قُتِل بعد مدة ، ورجع هشام الثاني الذي لم يستطع ضبط الأمور ، لأن القائد واضح الصَّقْلِي حجز أمواله وأودعه بالسجن ، فاضطرت عائلة ابن حزم لمُدَاراة النظام الجديد ، وحاول والد ابن حزم الإطاحة بالصَّقْلِي ، لكن الأمر انكشف ، ومات على إثرها والد ابن حزم سنة (ت : ٤٠٢ هـ) ، وتعاقبت المحن على ابن حزم وعائلته ، فاضطر للخروج عن قرطبة سنة (٤٠٤ هـ) والاستقرار بالمرية ، لكن صاحبها خيران العامري سرعان ما نكب ابن حزم وصاحبه أبا بكر محمد بن إسحاق (ت : ٤٥٠ هـ) وسجنهما عنده شهوراً ، بسبب وشاية بعض الخصوم الذي نقل على لسان ابن حزم أنه يسعى إلى إقامة أمرِ الأمويَّة من جديد ، وبعد إطلاق سراحهما توجهتا إلى حصن القَصْر فأكرمهما صاحبه عبد الله بن هُذَيْل التجيبي . فلما سمعا بقيام المرتضى عبد الرحمن بن محمد (٤٠٧ هـ) لإحياء الدولة الأموية رَكِبَا البحر إلى لقائه في بلنسية وسكنا معه فيها . ثم نجدهما في مالقة سنة (٤٠٨ هـ) حسب ابن الأبار<sup>(١)</sup> . ثم دخل ابن حزم قرطبة سنة (٤٠٩ هـ) أثناء حكم القاسم بن حَمُود ، وبقي هناك حتى ظهرت دعوة عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمُسْتَظْهَر (٤١٤ هـ) ، فَقَرَّبَ إليه ابن حزم ، لكن خلافة المُسْتَظْهَر انقطعت بعد (٤٧) يوماً ، وبُويع المُسْتَكْفِي الذي اعتقل ابن حزم وسجنه . وفي سنة (٤١٧ هـ) نجد ابن حزم بشاطبة . وهناك أَلَفَ رسالته المعروفة بـ « طوق الحمامة » التي يَشْهَدُ مُحْتَوَاهَا أن ابن حزم في حين تأليفه لها « كان قد حصَّل ضرورياً من الثقافات من فقه وحديث ومنطق وفلسفة وفلك ، ونظر في التوراة ، وشُهر بقوة عارضته في الجدل ، وبالتفُنُّن في ضروب مختلفة من الشعر »<sup>(٢)</sup> .

(١) التكملة لكتاب الصلة ، لابن الأبار البنسي (٣٠٥/١) ، رقم (١٠٦٧) ، وطوق الحمامة ، لابن حزم

ص ١١٢ ( ضمن رسائل ابن حزم ، الجزء الأول ) .

(٢) هذا نص كلام الدكتور إحسان عباس في تقديمه لطوق الحمامة ص ٣٩ . وكلامه صحيح ، لأن كتاب

الفصل لابن حزم بدأ تأليفه سنة (٤٢٠ هـ) ، ولا يعقل أن تلك المعلومات الغزيرة والجدل القوي

الموجود في الفصل حصله في لمح البصر ، بل ذلك يشهد على سعة اطلاع الرجل وكثرة طلبه للعلم

ومناظرته للأقران من مختلف الأديان والنحل .

إلى هذه المرحلة انتهى تدقيق الأستاذ أرنالديز في ترجمته لابن حزم ، وقفز مباشرة للحديث عن ابن حزم في إشبيلية وما حدث له مع المعتضد ابن عباد ، وكيف انتهى الأمر بابن حزم إلى الانزواء في قرية أجداده <sup>(١)</sup> . وهذه القفزة تركت وراءها فراغاً تقارب مدته (٣٩) عاماً ، وقد تيسر لي - بعد اطلاعي على كتاب « التنبيه على شنوذ ابن حزم » للقاضي عيسى بن سهل - ملء عدة مواطن في حياة ابن حزم في الفترة ما بين (٤١٨-٤٥٦ هـ) . ففي الفترة ما بين (٤١٨-٤٢٢ هـ) كان ابن حزم بقرطبة ، وكان له مجلس في مسجد الجامع يُدرّس فيه الفقه على غير مذهب مالك ، وكذلك كان لشيخه مسعود بن سليمان مجلس ثان يفقه فيه من تحلّق إليه على غير مذهب مالك ، فارتفعت الأصوات بوجوب إيقاف هذا « الخرق السافر » لعرف المالكية بالأندلس . وتولى هذه الحملة ضد ابن حزم وشيخه أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني (ت : ٤٢٦ هـ) <sup>(٢)</sup> ، صاحب أحكام الشرطة والسوق بقرطبة المعروف بابن أبي القراميد ( أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي القرطبي (ت : ٤٣١ هـ) ) <sup>(٣)</sup> . فقام بمراسلة الخليفة الأموي هشام ابن محمد المعتد بالله ( حكم ما بين ٤١٨-٤٢٢ هـ) ، الذي كان خارجاً حينها عن قرطبة ، مُستقراً بمحصن البونت ( شمال بلنسية ) ، فأجابه يستصوب رأيه في إخراج ابن حزم وشيخه من المسجد ومنع العامة من الاجتماع بهما ونهيهما عن الفتوى . فتمادى الرجلان على انقباضهما <sup>(٤)</sup> .

ولبث ابن حزم مدة بقرطبة ، وجرت له فيها مناظرة سنذكرها لاحقاً ، ثم انتقل إلى

(١) انظر :

(Nouvelle E'dition) Encyclop'die de L'Islam . Tome III . article : " Ibn Hazim " Iage 814  
2<sup>cm</sup> colonne .

(٢) فقيه قرطبي لغوي كان ظاهرياً لا يرى التقليد ، توفي بقرطبة في (٤٢٦ هـ) . انظر الصلة لابن بشكوال

(١/٦١٧-٦١٨) .

(٣) الصلة (٥٢٢/٢-٥٢٣) ، رقم (١١٤٤) .

(٤) الكلام اختزلناه من نص لابن حيان القرطبي أورده آسفن بلايوس في كتابه عن ابن حزم (١/١٣٦-

(١٣٧) ، تعليق (١٧٠) بالأسبانية .

المرية<sup>(١)</sup> ، ثم إلى دانية حيث اتصل بالكاتب الوزير أبي العباس أحمد بن رشيق عامل مجاهد العامري على ميورقة ودانية ، فنقله أبو العباس فيما بعد إلى جزيرة ميورقة وظل بها إلى حدود سنة (٤٤٠ هـ) ، ثم خرج إلى دانية بعد مناظرته مع أبي الوليد الباجي ، ثم انتقل إلى المرية ما بين (٤٤١-٤٤٥ هـ) ، ثم إلى أشبيلية . وهناك حُرقت كتبه على يد المعتضد ابن عباد ونُفيَ على يديه إلى لبلبة بقرية كانت لأجداده . حيث توفي سنة (٤٥٦ هـ)<sup>(٢)</sup> . فهذه نبذة عن حياة ابن حزم ، وسُنُيفُ إليها تفاصيل أخرى تتعلق بمناظراته ومنازعاته مع مخالفيه .

#### رابعاً : الردود على ابن حزم في عصر ملوك الطوائف :

من خلال المصادر الأندلسية تبين لنا أن ابن حزم استَهْدَفَ لخصومه وعِيبَ بالشذوذ ، لخروجه عن مذهب مالك وانتحاله مذهب الإمام الشافعي .

قال المؤرخ القرطبي ابن حيان - حسب ما نقله عنه ابن بسام في الذخيرة- : « وما ل به أولاً النظر في الفقه إلى رأي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، وناضل عن مذهبه وانحرف عن مذهب غيره ، حتى وُسِمَ به وُسِبَ إليه ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعِيبَ بالشذوذ »<sup>(٣)</sup> ، وقال ابن الأبار في الحلة السيرة أن ابن حزم : « .. نُعيَ عليه بقرطبة وغيرها خِلافه مذهب مالك ... »<sup>(٤)</sup> .

هذا في نظرنا المُحرِّكُ الأول للخصومة بين ابن حزم ومعاصريه من فقهاء المالكية بالأندلس ، فابن حزم بفعله المذكور قد خرق أحد بُنود « دستور الدولة » حينئذ . دليل ذلك أن أمراء الأمويين نُصُّوا على التزامهم بمذهب مالك ، ورفضهم للفتوى بغيره من المذاهب .

(١) سنذكر خلافه لفقهاؤها في وجهة القبلة وما جرى له بسبب ذلك .

(٢) هذه التفاصيل نصوصها ذكرناها سابقاً في مقالين : أحدهما بمجلة الذخائر ، عدد (٥) ، سنة (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) ص ٢٣٩-٢٥٦ . وثانيهما بمجلة القنطرة ( الأسبانية ) ، مجلد (٢٢) ، الجزء الثاني ، سنة (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ص ٢٩٩-٣٢٠ .

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول (١/١٦٧) .

(٤) الحلة السيرة (٢/١٢٨) .

